عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البر اي معظمه فالحصر فيه مجازي نظير ما مر في الدين النصيحة
وضده الفجور والاثم ولذلك قابله به وهو بهذا المعنى عبارة عما اقتضاه الشرع وجوبا او ندبا كما ان
الاثم عبارة عما نهى الشرع عنه وتارة يقابل البر بالعقوق فيكون عبارة عن الاحسان كما ان العقوق
عبارة عن الاساءة من بررت فلانا بالكسر ابره برا فانا بر بفتح اوله وبار به وجمع الاول ابرار والثاني
بررة حسن الخلق اي التخلق والمراد هنا المعروف وهو كما مر طلاقة الوجه وكف الاذى وبذل
الندى به وان يحب للناس ما يحب لنفسه وهذا يرجع الي تفسير بعضهم له لانه الانصاف في المعاملة
والرفق في المجادلة والعدل في الاحكام والبذل والاحسان في اليسر والايثار في العسر وغير ذلك
من الصفات الحميدة ومن ثم قال العلماء البر يكون بمعنى الصلة وبمعنى الصدق وبمعنى اللطف
والمبرة وحسن العشرة والصحبة ولين الجانب واحتمال الاذى وبمعنى الطاعة بساير انواعها
ومنه قوله تعالى ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر الى قوله اوليك الذين صدقوا واولئك هم المتقون
وهذه الامور كلها هي مجامع حسن الخلق وقد اشار تعالى اليها في ايات من كتابه العزيز نحو
انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الي اوليك هم المؤمنون حقا التايبون العابدون
الي وبشر المؤمنين قد افلح المؤمنون الي اوليك هم الوارثون وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا
الى اخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الايات فوجود جميع ما فيها من الاوصاف
علامة على حسن الخلق وفقده علامة على سوء الخلق ووجود بعضه علامة على ان فيه من الحسن
بحسب ما عنده ومن الشر بحسب ما فقده فليعتني بتحصيله ليفوز بسعادة الدارين واذا قرن البر
بالتقوى كما في قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى فسر البر بمعاملة الخلق بالاحسان والتقوى
بمعاملة الحق او البر بفعل الواجبات والتقوى باجتناب المحرمات والاثم اي الذنب جزاز القلوب
كما في رواية وهو بتشديد الزا بمعنى قوله في هذه الرواية ما حاك اي رسخ واثر اضطرابا
في النفس وقلقا ونفورا وكراهة لعدم طمانينتها اليه ومن ثم لم ترض بالاطلاع عليه كما قال صلى الله
عليه وسلم وكرهت ان يطلع عليه الناس اي وجوههم واماثلهم الذين يستحيى منهم وقول بعضهم
هذا ليس بشي وحمله على العموم اولى هو الذي ليس بشي والمراد هنا بالكراهة العرفية الجارية
مجرى العادة كمن يكره ان يرى اكلا لحيا او بخل وغير الجارية كمن يكره ان يركب ببون مشاه للتواضع
او نحو فانه لو رئي لذلك لم يبال وقد استفيد من هذا السياق ان للاثم علامتين وسببهما كما ياتي
التصريح به في رواية ان النفس لها شعور من اصل الخلقة بحمد عاقبته وحال بحمد عاقبته ولكن غلبت على النفس الشهوة

اوجبت لها

٧٣

اوجبت لها الاقدام على ما يضرها كما غلبت على السارق والزاني مثلا فاوجبت لهما الحد اذا عرفت
ذلك تضح لك وجه كون التاثير في النفس علامة للاثم لانه لا يصدر الا لشعورها بسوء عاقبته ووجه
كون كراهة اطلاع الناس على الشي يدل على انه اثم لان النفس بطبعها تحب اطلاع الناس على خيرها
وبرها وتكره ضده ذلك ومن ثم اهلك الريا اكثر الناس فبكراهتها اطلاع الناس على فعلها انه
شر واثم ثم هل هاتان العلامتان كل منهما مستقل بكونه علامة على الاثم من غير احتياج الى الاخر
او غير مستقل بذلك بل هو جزء علامة والعلامة الحقيقية مركبة منهما على محتمل لكن قضية الرواية
الاتية المقتصرة على الاولى الاول ومقتضى العطف بواو الجمع هنا الثاني وعليه فالفعل ان وجد
فيه الامران كالزنا والربا فهو اثم قطعا وان انتفيا عنه فبر قطعا كالعبادة ونحو الاكل وان
وجد فيه احدهما احتمل البر والاثم فيكون من المشتبه على حد ما مر في خبر الحلال بين والحرام
بين وبينهما مشتبهات الحديث والذي يتجه انهما متلازمان لان كراهة النفس تستلزم
كراهة الناس وعكسه وقضية عموم الحديث ان مجرد خطور المعصية والهم بها اثم لوجود العلامتين
فيه لكنه مخصوص بخبر ذلك ان الله تجاوز لامتي عما وسوست به نفوسها ما لم تعمل به او تتكلم بل
ربما يثاب نظير ما قيل له صلى الله عليه وسلم انا نجد في انفسنا ما يتعاظم احدنا ان ينطق به فقال ذلك
صريح الايمان فلذلك من هم بزنا مثلا وحاك في نفسه فتركه من خشية التقوى اثيب على
ذلك لانه حينئذ تصير من باب قوله تعالى في الحديث القدسي اكتبوها له حسنة انما تركها
من اجلي اما العزم فهو اثم لوجود العلامتين فيه ولا مخصص يخرجه عن عموم الحديث بل خبر اذا
التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول
قال انه كان حريصا على قتل صاحبه ظاهر في ذلك اذ ذلك الحرص المعلل للدخول به وحده مع
قطع النظر عن الفعل المقترن به عزم مجرد رواه مسلم وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم
بل من اوجزها اذ البر كلمة جامعة لجميع افعال الشر والقبايح كبيرها وصغيرها كما علم مما
قررته فيها ولهذا السبب قابل صلى الله عليه وسلم بينهما وجعلهما ضدين وعن وابصة
بن معبد رضي الله تعالى عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة رهط من قومه
بني اسد بن خزيمة سنة تسع فاسلموا ورجع الي بلاده ثم نزل الجزيرة وسكن بالرقة
ودمشق ومات بالرقة ودفن عند منارة جامعها قال اتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال جيت تسل عن البر قلت نعم ففيه معجزة كبرى له صلى الله عليه وسلم حيث اخبر

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)